تهافت التهافت

مريد البرغوثي

يأتي زمن تمشي فيه الغابه
يأتي زمن تتحرك فيه الاشجار
يأتي الخطر / الدائرة المكتمله
وسعيد القروي يسافر
في الاسئلة الموصلة الى
حذر ، أقسى منه الاطمئنان !

* * *

الاخضر العربيّ ينكر لونه
المشهد العربيّ ينكر سفحه
وأقول : يا نفس اطمئني ،
انه الوقتيّ ، والاوجاع ذاهبة الى اضدادها
هذا هو استدراك نفسي
غير اني لن اردّ سؤالي الطفليّ
فلتغضب لغات الناقمين على اندلاع طفولتي
ما زلت أملك دهشتي وسط اعتياد الانهيار !
ما زلت المس صدمتي بأصابعي
فتهزني واهزها :
ـ « تتسللين اليّ ذات فجاءة
وامرّ منك اليك ،
هل هذا انتهاء ، أم سجال ؟
متشبثا بالباقيات سألت
لكن الطوارىء جاوبتني ، بانهيارات الجبال !
يستدرك الوجع الذي في النفس
يبحث عن ردود في الشوارع والطفولة والمدى
وأعود للوجع الاليف ، يردني

افق عدو ، ثم تنكمش الرحابة
انه الوقت المدجج بالابوة ، واغتيال الاسئله

* * *

وبقلبي ذلك الطفل الذي ينهض معجيشالسنين
جدنا الموغل في الجوع ، ومجد الاحتمال
سمه ما شئت لكني أسميه سعيد القروي
وسعيد ،
مفرد مثل شجيره
وجماعيّ ، كغابه
وهو من جيل لجيل
جعل العمر سؤالا
والردى بعض الاجابه
ـ « ما الذي يطلبه منك زمان الاعتدال ؟
هل سيطويك زمان ، فيلاقيك وحيدا وقويا
ثم يطويك زمان فيلاقيك وحيدا
ثم يطويك الزمان ؟ »

* * *

أأقول اكثر
أم أروّض خوف نفسي ؟

المشهد الجبليّ يسلم نفسه لمسائه
متهافتا قبل التماسك ، أو أقول
متماسكا قبل التهافت
انتبه
لا تحجب الاضداد عن اضدادها يا قلب
لا تستصغر المخبوء في الصدر
فان الصمت مدفأة تلمّ الناس في أوج الصقيع
وفي قتام دخانها انفاسهم ، تصل الفضاء الرحب
غيما أو دخانا ثم تصطكّ الشرارة بالشرارة
فالجموع من الجموع فالاشتعال والاشتعال والاشتعال!
وانا الذي يخفي الكثير
لانه يدري الكثير
أدري ـ لعلمك ـ ان سيف حبيبتي
هو أقرب الاسياف من عنقي
واني قابض جمرا ، وأكظم بعض غيظي ما أزال
والمشهد الجبلي مال
المشهد العربي مال
هذا أوان .. الاعتدال !!

* * *

يا خوف سعيد مما تخفيه الايام
وسعيد يدري
ان المألوف مفاجأة
والفجأة أمر مألوف
يتمرمر : ان حبيبة عمري تنكرني
ولها نافذة
تتعاطى منها لغة عدوّي حين أنام
ويصيح : يا جدّي عز الدين القسام
ازمان خديعتنا تتشابه
هذا زمن تمشي فيه الغابه
هذا زمن ،
تتحرك فيه الاشجار نهارا
والناس نيام !

* * *

يا أيها القلق العظيم تعال ، كن متواصلا
هذا هبوط في الرضى يتنازع الاسماء من حولي
فأخرجني لادخل في اشتعال الاسئله
هذا المدى عقم ، واسئلتي مخاض

المشهد الجبلي بعض ترابه جسدي، وأجساد الاحبة،
جئت أدعو للولادة ،
ضد هذا الانقراض !
يظهر القسام من شمس القرى
يظهر القسام في ليل العواصم
وانا أحميه من موت جديد
بعض موتانا يذوقون المنايا مرتين
بعض ما نبنيه يهوي مرة ، أو مرتين

* * *

يا سعيد القروي
قلت لي يوما : دعتني حلوة النبع اليها فأتيت
قلت أيضا : صدىء الراحل للارض ، ولكن
جرس الرحلة لم يصدأ ،
وناداني ، أتيت
قلت أيضا : كلما قالوا « انتهى » ، فاجأتهم اني
ابتدات
قلت باق : مثلما الفلقة نصفاها هما ضدّ وضدّ
وانا الآن أناديك من الآنيّ :
هذي لحظة محمومة ، تطلب راسينا معا
والجنازات تعدّ
يا بديل الموت كن موتا بديلا
يا بديل الموت كن موتا لنا فيه اختيار

* * *

يا ايها الزمن المحاصر بالابوّة
واغتيال الاسئله
ما زلت أملك طرح أسئلتي
وللوطن المحدد أن يجيب
ويجيئني صوت يهدد نفسه :
هي ساعة الضدّ المدجج بالبداية
فلنكنها ، وليجرحنا هواها
ولنمت الا قليلا
ولنكن ضدا جميلا !

مريد البرغوثي